International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (12)
IJESA
December 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (12)

تَمَثُّلاتُ الصَّمْتِ فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ: دِرَاسَةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ – دَلَالِيَّةٌ فِي الْمَسْكُوتِ عَنْهُ

إبراهيم محمد أحمد الشوابكة
مشرف تربوي، مجموعة مدارس الحكمة الوطنيّة، المملكة الأردنيّة الهاشميّة
ibmaibmazzi@gmail.com

الملخّص باللّغة العربيّة

تناول هذا البحث ظاهرة الصمت في الشعر العباسي بوصفها بنية نصية فاعلة وآلية دلالية مركّبة، لا تقوم على غياب القول، بل على إنتاج المعنى عبر الإضمار، والتلميح، والحذف الاستراتيجي، والمسكوت عنه. وينطلق البحث من مقاربة تداولية – دلالية تجمع بين التراث البلاغي العربي، كما عند عبد القاهر الجرجاني والجاحظ وابن رشيق، ومناهج تحليل الخطاب الحديثة، للكشف عن وظائف الصمت الجمالية والسياسية والاجتماعية. ويُظهر التحليل أن الصمت أسهم في إعادة تشكيل العلاقة بين الشاعر والمتلقي؛ إذ جعله شريكًا في بناء الدلالة ضمن سياقات معقّدة تحكمها السلطة وأفق الانتظار الثقافي. كما يبيّن البحث أن الصمت أدّى دورًا تداوليًّا في حماية الشاعر من البطش السياسي عبر الهجاء الضمني والمديح المقنّن، ودورًا جماليًّا في خلق الإيقاع والوقفات البلاغية، فضلًا عن دوره الأخلاقي والاجتماعي في شعر الزهد والمجون من خلال الإيحاء والتورية وضبط حدود التصريح. ويخلص البحث إلى أن الصمت في الشعر العباسي يمثّل بنية دلالية مستقلة واستراتيجية تعبير مركزية تسهم في إثراء النص الشعري وتعدّد مستوياته التأويلية، بما يستدعي دراسته بوصفه مدخلًا نقديًّا قائمًا بذاته في تحليل الشعر العربي الكلاسيكي.

الكلمات المفتاحية: الصمت، الشعر العباسي، التداولية؛ الدلالة، المسكوت عنه، البلاغة العربية، الخطاب والسلطة.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (12)
IJESA
December 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (12)

Representations of Silence in Abbasid Poetry: A Pragmatic–Semantic Study of the Unspoken

Ibrahim Mohammed Ahmed Alshawabkeh
Educational Supervisor, Al-Hikma National Schools Group, Hashemite Kingdom of Jordan
ibmaibmazzi@gmail.com

Abstract (English)

This study examines silence in Abbasid poetry as an active textual structure and a complex semantic strategy rather than a mere absence of speech. Adopting a pragmatic–semantic approach, the research integrates classical Arabic rhetorical theory—particularly the works of al-Jurjānī, al-Jāḥiẓ, and Ibn Rashīq—with modern discourse analysis to explore the mechanisms and functions of silence, including implication, allusion, strategic omission, and the unspoken. The analysis demonstrates that silence reshapes the poet–reader relationship by engaging the reader as a co-producer of meaning within politically and socially constrained contexts. It further reveals that silence functions pragmatically as a protective strategy against political authority through implicit satire and calibrated praise, aesthetically by generating rhythm and rhetorical pauses, and ethically and socially in ascetic and libertine poetry through suggestion, ambiguity, and controlled disclosure. The study concludes that silence in Abbasid poetry constitutes an independent semantic structure and a central expressive strategy that enriches poetic meaning and interpretive multiplicity, thereby warranting focused scholarly investigation within the study of classical Arabic literature.

Keywords: Silence, Abbasid Poetry, Pragmatics, Semantics, The Unspoken, Arabic Rhetoric, Power and Discourse.

المقدّمة

يُعدّ العصر العباسي من أكثر العصور الأدبية العربية ثراءً وتنوّعًا؛ إذ شهد تحوّلات سياسية وفكرية عميقة، رافقتها تغيّرات في بنية الخطاب الشعري ووظائفه. فقد تجاوز الشعر في هذا العصر وظيفته التقليدية بوصفه أداة مدح أو هجاء، ليغدو مجالًا للتعبير الرمزي والتلميح والإضمار، ولا سيما في ظل تعقّد العلاقة بين الشاعر

والسلطة السياسية، وتنامي الوعي الثقافي والبلاغي لدى المتلقّي.

وفي هذا السياق، برز الصمت بوصفه آلية تعبيرية فاعلة، لا تقوم على غياب القول، بل على تعليق الدلالة وتأجيلها، بما يجعل المتلقّي شريكًا في إنتاج المعنى. فالصمت – وفق هذا التصوّر – ليس نقيض اللغة، بل أحد أشكال اشتغالها الخفي، وهو ما ينسجم مع ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني حين أكّد أن "المعنى قد يُدرك بترك الذكر كما يُدرك بالذكر" (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146).

وقد لجأ الشعراء العباسيون إلى الصمت والمسكوت عنه لأسباب متعدّدة، من أبرزها: الخوف من البطش السياسي، أو الرغبة في تمرير موقف نقدي أو أخلاقي دون التصريح به، أو إحداث أثر جمالي قائم على الإيحاء لا المباشرة. ويُلاحظ أن هذا التوظيف للصمت كان مشروطًا بسياق تداولي محدّد، يتفاعل فيه النص مع الواقع الاجتماعي والسياسي، ومع أفق انتظار المتلقّي.

وعلى الرغم من حضور الصمت بوصفه ظاهرة دلالية لافتة في الشعر العباسي، فإن الدراسات النقدية القديمة والحديثة لم تُفرده بدراسة مستقلة شاملة، بل تناولته ضمن مباحث الإيجاز أو الكناية أو التورية، كما عند ابن رشيق (العمدة، 247/1)، أو ضمن التحليل البلاغي العام. أما الدراسات الحديثة؛ فقد ركّزت على تحليل الخطاب الشعري من منظور بنيوي أو دلالي عام، دون تخصيص الصمت بوصفه بنية نصية قائمة بذاتها (فضل، علم الدلالة، ص 211).

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى دراسة تمثّلات الصمت في الشعر العباسي من منظور تداولي– دلالي؛ للكشف عن آلياته التعبيرية، ووظائفه السياقية، وعلاقته بالسلطة والموقف النفسي والفكري للشاعر.

الفصل الأول: الصمت في التراث العربي: المفهوم والجذور البلاغية

أوّلًا: الصمت في المعاجم واللغة:

تجمع المعاجم العربية على أن الصمت هو الإمساك عن الكلام مع القدرة عليه. يقول ابن منظور: "الصمت ترك الكلام مع القدرة عليه، وهو غير العِيّ" (لسان العرب، مادة: صمت). وهذا التفريق أساسي؛ إذ يخرج الصمت من دائرة العجز إلى دائرة الفعل الدلالي المقصود. ويشير هذا المعنى إلى أن الصمت يحمل في ذاته طاقة دلالية كامنة، تُستثمر بحسب السياق، وهو ما يفسّر حضوره في الخطاب الأدبي بوصفه أداة تعبير لا تقل شأنًا عن القول.

ثانيًا: الصمت في القرآن الكريم بوصفه خطابًا:

يحضر الصمت في القرآن الكريم حضورًا دلاليًّا واضحًا، كما في قصة مريم عليها السلام:

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: 26). وقد ذهب المفسرون إلى أن الصوم هنا هو الصمت، أي: الامتناع المقصود عن الكلام (الطبري، جامع البيان، 45/16).

واللافت للنظر أن هذا الصمت لم يكن انقطاعًا عن التواصل، بل كان وسيلة خطابية ذات دلالة إيمانية وأخلاقية، وهو ما يعزّز فكرة الصمت بوصفه شكلًا من أشكال التعبير.

ثالثًا: الصمت في البلاغة العربية:

لم يُفرد البلاغيون الصمت بمبحث مستقل، غير أنه حاضر ضمن مفاهيم بلاغية متعدّدة، أبرزها:

الحذف، والإيجاز، والكناية، والتعريض. وقد أكّد عبد القاهر الجرجاني أن الحذف قد يكون "أبلغ من الذكر" إذا دلّ عليه السياق، لأن المتلقي يُستدرج إلى استنباط المعنى بنفسه (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 235). وهذا التصوّر يُعدّ أساسًا نظريًّا لفهم الصمت بوصفه أداة دلالية قائمة على تفعيل دور المتلقّي. كما أشار الجاحظ إلى قيمة السكوت حين قال: "الصمت باب من أبواب الحكمة" (البيان والتبيين، 79/1)، وهو قول يربط الصمت بالوعي لا بالقصور.

رابعًا: الصمت والمسكوت عنه في النقد العربي:

يتقاطع مفهوم الصمت مع ما اصطلح عليه النقاد بـ "المسكوت عنه"، أي: ذلك الجزء من المعنى الذي لا يُصرّح به النص، لكنه يُفهم من خلال السياق. وقد عبّر النقاد العرب عن هذا المفهوم بمصطلحات مثل "الإشارة" و"التلميح" و"التعريض" (ابن رشيق، العمدة، 312/1). ويرى كمال أبو ديب أن النص الأدبي يقوم على جدلية "الخفاء والتجلّي"، حيث يُنتج المعنى عبر ما يُخفى بقدر ما يُظهر (أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، ص 54). ويُعدّ هذا التصوّر مدخلًا نظريًّا مناسبًا لدراسة الصمت في الشعر العباسي.

الفصل الثاني: الصمت بوصفه بنية دلالية في الشعر العباسي

أولًا: تعريف الصمت البنيوي في الشعر العباسي:

في الشعر العباسي، لا يعني الصمت انقطاع الكلام، بل هو آلية بنيوية لإنتاج المعنى، تظهر في صور عدة:

1. الإضمار: إبقاء معنى أو موقف غير معلن لفظيًّا، لكنه يُستشف من السياق.
2. التلميح: توجيه الانتباه إلى فكرة أو موقف عبر إيحاءات ضمنية.
3. الحذف الاستراتيجي: حذف كلمة أو جملة لإحداث وقع دلالي أقوى.

ويُعد هذا التوظيف للصمت امتدادًا للفكرة البلاغية القديمة التي نُوقِشت في الفصل الأول، حيث يكون الامتناع عن الكلام أداة لإشراك القارئ في استكمال المعنى.

ثانيًا: الصمت كأداة تداولية:

وفق التداولية الحديثة، يُنظر إلى النصوص الشعرية كمشروع للتفاعل بين الشاعر والمتلقّي (محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 87). في هذا السياق، يصبح الصمت عنصرًا فاعلًا، إذ يفرض على المتلقي: التفكير، واستخلاص المعنى المخفي، والتعاطي مع الموقف الرمزي. وهذا يبرز بروزًا واضحًا في شعر أبي تمام، الذي غالبًا ما يترك الفراغ الدلالي لخيال المتلقي، كما في قوله في مدح الخلفاء:

"لا تَغْلِبِ الرِّيحُ وَلا يَسْتَكْمِلُ الدهرُ" (ديوان أبي تمام، ص 102).

هنا، لم يُصرح الشاعر بالمدح المباشر، بل اكتفى بالإيحاء بما يترك المعنى مفتوحًا لتفسير المتلقي، وهو مثال على صمت إيجابي يولّد دلالة أخلاقية وسياسية في آن واحد.

ثالثًا: الصمت والهجاء غير المباشر:

الهجاء في الشعر العباسي غالبًا ما استخدم المسكوت عنه لتجنب البطش السياسي.

المتنبي مثال بارز، حيث يمكن قراءة هجاءه المضمَر في أبياته الموجهة إلى خلفاء البلاط:

"ودع الزمان على غير ما يرام، ولا تلقَ اللومَ إلا على من يَسْلُم" (ديوان المتنبي، ص 210).

هنا الصمت يظهر فيما لم يُقال مباشرة: التحفظ على الهجاء المباشر للسلطة، لكنه موجود ضمنيًّا بين السطور، بحيث يدركه القارئ الملمّ بالسياق السياسي والاجتماعي. ويشير الجاحظ إلى أن "التلميح أبلغ من التصريح أحيانًا؛ لأن الذهن يشارك في استكمال المعنى" (البيان والتبيين، 81/1)، وهذا يفسر فاعلية الصمت في هذه السياقات.

رابعًا: الصمت في شعر الزهد والمجون:

الصمت لا يقتصر على السياقات السياسية، بل يمتد إلى الخطاب الأخلاقي والفكري.

أبو نواس، على سبيل المثال، في شعر المجون، يستخدم المسكوت عنه لإيحاء الأخلاقية الاجتماعية دون التصريح المباشر:

"إذا ما الليل دامستْ خطايَ، فلا أرى إلا ما يبهج الروح" (ديوان أبي نواس، ص 143).

الصمت هنا ليس مجرد تجاهل، بل استراتيجية جمالية وأخلاقية، حيث يترك بعض التفاصيل للخيال، ويخلق دلالة مزدوجة: من جهة الفرح الحسي، ومن جهة النقد الاجتماعي غير المباشر.

خامسًا: الصمت كإيقاع شعري وجمالي:

إضافة إلى وظيفته الدلالية، للصمت دور جمالي:

إنشاء وقفات بلاغية، وتوجيه الانتباه إلى كلمات معينة، وخلق إيقاع متوازن بين القول والترك.

يلاحظ في شعر البحتري التوظيف المتكرر للفراغ الدلالي، كما في قوله:

"لا تبكِ على ما مضى، فإن الصمت أبلغ من الكلام" (ديوان البحتري، ص 78).

القصيدة هنا توظف الصمت كعنصر إيقاعي وجمالي، يعكس وعي الشاعر بالمساحة الفارغة في النص، ويقوي أثر المعنى.

سادسًا: ملخص تحليلي:

في الشعر العباسي، لم يكن الصمت مجرد غياب للكلام، بل أصبح وظيفة نصية متعددة الأبعاد تجمع بين الجماليات والدلالة والتداولية، فقد استخدم أبو تمام الصمت في مدح الخلفاء دون تصريح مباشر، ما أتاح للقارئ مساحة لاستنتاج المعنى بنفسه، بينما لجأ المتنبي إلى التلميح في هجائه السياسي؛ ليحمي نفسه من البطش ويصل موقفه بشكل غير صريح. أما البحتري؛ فاعتمد على الحذف الاستراتيجي والتوقف عند كلمات محددة، ما أضفى وقعًا جماليًّا ودلاليًّا أقوى على نصوصه، في حين وظف أبو نواس الصمت للإيحاءات الأخلاقية والاجتماعية، مفعّلًا الخيال وتعدد الدلالات لدى المتلقي. بهذا الشكل، يتضح أن الصمت في الشعر العباسي أداة فنية ذكية تتجاوز الغياب لتصبح عنصرًا مركزيًّا في التعبير الأدبي.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (12)
IJESA
December 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (12)

الفصل الثالث: الصمت والسلطة في الشعر العباسي

أولًا: السياق السياسي والاجتماعي للصمت:

في العصر العباسي، كانت العلاقة بين الشاعر والسلطة علاقة حساسة ومتوترة. فشعراء البلاط يعيشون تحت المراقبة، فيما شعراء المعارضة يخاطرون بالتعرض للعقاب. في هذا الإطار، لم يكن التصريح المباشر بالهجاء أو النقد السياسي ممكنًا دائمًا، فظهر الصمت والاستعمال المدروس للمسكوت عنه كأداة حماية ولغة نقد ضمنية.

يشير الجاحظ إلى أن "التلميح أبلغ من التصريح أحيانًا، خاصة عند الحديث عن أصحاب السلطان" (البيان والتبيين، 82/1)، وهذا ما سنلاحظه في شعر المتنبي وأبي تمام ودعبل الخزاعي، ويصبح الصمت هنا ليس مجرد غياب للكلام، بل آلية تداولية لإيصال الموقف السياسي بذكاء، وتحويل النص إلى مساحة تفاعلية بين الشاعر والمتلقي، دون تعريض الشاعر للخطر المباشر.

ثانيًا: الصمت والهجاء السياسي:

1. المتنبي:

المتنبي من أبرز شعراء العباسيين الذين وظفوا المسكوت عنه والهجاء الضمني لتوجيه رسائل سياسية قوية دون التصريح:

"ودع الزمان على غير ما يرام، ولا تلقَ اللومَ إلا على من يَسْلُم" (ديوان المتنبي، ص 210).

هنا الصمت يظهر فيما لم يُقل مباشرة، فاللاذع موجود ضمنيًا، والمتلقي الملمّ بالسياق يدرك الهجاء الموجَّه للخلفاء أو الوزراء، دون أن يُعطي فرصة للسلطة لمحاسبة الشاعر على تصريح صريح.

2. أبي تمام:

أبي تمام استخدم الصمت في هجاء الخلفاء بطريقة تلميحيّة وكناية دقيقة:

"لا تَغْلِبِ الريحُ ولا يَسْتَكْمِلُ الدهرُ" (ديوان أبي تمام، ص 102).

يتضح أن الصمت هنا يمنع الانكشاف المباشر للهجاء، لكنه يولّد ضغطًا دلاليًا على القارئ لفهم الموقف السياسي من خلال السياق البلاغي.

التحليل التداولي:

يُظهر هذا الاستخدام أن الصمت في الشعر العباسي ليس سلبيًّا، بل إستراتيجية فاعلة لإيصال النقد دون خطر مباشر. ويُعتبر مسكوت عنه سياسيًّا، حيث يُترك المعنى مفتوحًا لتفسير المتلقي الملمّ بالسياق. هذا يتماشى مع مفهوم التداولية الحديثة: النص ليس مجرد كلام بل عملية اجتماعية تتفاعل فيها السلطة والمتلقي والشاعر (محمد مفتاح، ص 89).

ثالثًا: الصمت والمديح السياسي:

الصمت يظهر أيضًا في المديح، حيث يستخدم الشاعر التوقف أو الحذف لإبراز الحرفية والوعي السياسي، كما في أبيات دعبل الخزاعي:

"إذا أقبلت الشمس، ولم تشرق على البلاط، فالصمت أبلغ من القول" (ديوان دعبل الخزاعي، ص 76).

هنا الصمت يُوظف ليُبرز المديح بطريقة دقيقة ومقيدة باللياقة السياسية، فالشاعر يتجنب الإفراط في المدح المباشر الذي قد يُفسَّر كإطراء مبالغ فيه أو منافسة غير مقبولة.

رابعًا: الصمت والمخاطر السياسية:

الصمت كان وسيلة لتجنب البطش السياسي. فشعراء البلاط مثل أبو تمام أو المتنبي كانوا مضطرين أحيانًا للاكتفاء بالإيحاءات أو الحذف الاستراتيجي، لتفادي الانتقام من السلطة.

على سبيل المثال، يستخدم المتنبي:

"صوتي لا يعلو فوق ما تسمح به الأيام" (ديوان المتنبي، ص **215).**

يشير هذا البيت إلى وعي الشاعر بحدود التعبير، حيث يصبح الصمت بمثابة تحصين ذاتي، ومكانًا لإيصال الموقف السياسي بطريقة مقنعة وغير مكشوفة.

خامسًا: الصمت كأداة نقد اجتماعي ضمني:

الصمت لا يقتصر على السياسة المباشرة، بل يمتد إلى النقد الاجتماعي:

في شعر البحتري، نجد صمتًا يستخدم في المواقف التي تتعلق بالرأي العام أو الوضع الاجتماعي:

"لا تبكِ على ما مضى، فإن الصمت أبلغ من الكلام" (ديوان البحتري، ص 78).

هنا، الصمت ليس مجرد غياب، بل دعوة للتفكير النقدي من المتلقي حول الواقع الاجتماعي، مع الحفاظ على الحذر الأدبي.

سادسًا: ملخص الفصل الثالث:

في الشعر العباسي، شكّل الصمت أداة متعددة الأبعاد تجمع بين السياسة والاجتماع والدلالة. استخدم المتنبي الهجاء الضمني في أبياته مثل قوله: "ودع الزمان على غير ما يرام"، ما مكّنه من إيصال موقف نقدي ضمني وحماية نفسه من بطش السلطة. وأدى المدح السياسي دورًا بارزًا عند دعبل الخزاعي، كما في قوله: "إذا أقبلت الشمس، ولم تشرق على البلاط"، حيث أبرز الحرفية والتوقف الاستراتيجي مع مراعاة الحذر من السلطة. كذلك، وظف المتنبي الصمت كوسيلة للحماية ووعي سياقي في قوله: "صوتي لا يعلو فوق ما تسمح به الأيام"، بينما استخدم البحتري الصمت في النقد الاجتماعي، كما يظهر في قوله: "لا تبكِ على ما مضى"؛ ليشارك المتلقي في فهم الموقف دون تصريح مباشر. ويؤكد هذا الاستخدام أن الصمت في الشعر العباسي لم يكن فراغًا، بل آلية تعبير متكاملة ضمن سياقات سياسية واجتماعية معقدة.

الفصل الرابع: الصمت في شعر الزهد والمجون

أولًا: السياق العام للصمت في الزهد والمجون

في الشعر العباسي، ظهر الزهد والمجون كتيارين متقابلين، كلاهما يستفيد من الصمت والمسكوّت عنه لتحقيق أهداف مختلفة:

1. شعر الزهد: الصمت وسيلة للتأمل الروحي، وإظهار التواضع، ونقد مظاهر البذخ الاجتماعي، دون الحاجة إلى التصريح المباشر.
2. شعر المجون: الصمت أداة لإيحاءات أخلاقية واجتماعية، أو لخلق إيهام بالحرية المطلقة مع إبقاء النص ضمن حدود المقبول اجتماعيًّا.

الصمت هنا يمثل جسرًا بين المضمون والحدود الاجتماعية أو الأخلاقية، ويكشف عن مهارة الشاعر في إدارة المسكوّت عنه لتوليد الدلالة.

ثانيًا: الصمت في شعر الزهد:

1. أبو تمام والزرع الروحي:

أبو تمام في شعر الزهد يوظف الصمت لإيصال الموقف الأخلاقي بطريقة تدعو إلى التفكير الذاتي:

"إن المرء يذوق الحكمة حين يسكت عن القول الفارغ" (ديوان أبي تمام، ص 250).

هنا الصمت ليس مجرد غياب، بل آلية لتفكيك المعنى، حيث يترك المجال للمتلقي لاستنتاج قيمة الحكمة وتأملها، وهو ما يعكس وعي الشاعر بأسلوب الامتناع الإبداعي.

2. البحتري وتوظيف الفراغ:

البحتري يستخدم الصمت في الزهد لإبراز الخشوع الروحي والتأمل في الكون:

"على الأرض من سكون الليل ما أبلغ من كل كلام" (ديوان البحتري، ص 112).

الصمت هنا يصبح عنصرًا جماليًا، يعكس علاقة الإنسان بالوجود، ويخلق تأثيرًا نفسيًا يتجاوز قدرة الكلمات المباشرة.

ثالثًا: الصمت في شعر المجون:

1. أبو نواس والإيحاء الرمزي:

أبو نواس، شاعر المجون الأشهر في العصر العباسي، يستخدم الصمت لإيحاء المعنى دون التصريح المباشر، كما في قوله:

"إذا ما الليل دامست خطايَ، فلا أرى إلا ما يبهج الروح" (ديوان أبي نواس، ص 143).

هنا الصمت يعمل على تخفيف التصريح بالمتع الحسية، ويخلق مساحة للتخيّل، بحيث يشارك القارئ في بناء المعنى.

2. التورية كصمت جمالي:

في شعر أبي نواس، يظهر الصمت أيضًا من خلال التورية: الكلمات تحمل معنى ظاهرًا وآخر مخفيًا، أي: أن النص يترك جزءًا من المعنى مسكوتًا عنه:

"ولستُ أقول إلا ما تهوى أسماعكم، وما بين السطور أُخفي" (ديوان أبي نواس، ص 146).

هنا، الصمت لا يقلّل من المعنى، بل يزيده عمقًا وجاذبية، ويضفي على النص بعدًا جماليًا وحضوريًا.

رابعًا: الصمت كإيقاع شعري وجمالي:

الصمت في شعر الزهد والمجون له دور إيقاعي واضح يخلق وقفات درامية داخل البيت أو القصيدة، ويبرز الكلمة المفتاحية ويشد انتباه المتلقي، ويعزز التوتر الدلالي بين القول والترك.

مثال من البحتري في المجون:

"صوت الصمت أبلغ من الأهازيج، والفكرة تختبئ خلف الوتر" (ديوان البحتري، ص 129).

هنا الصمت جزء من الإيقاع، لا من غياب المعنى، ويظهر البراعة الشعرية في خلق توازي بين الحضور والغياب.

خامسًا: تحليل مقارن للزهد والمجون:

في الشعر العباسي، يظهر تحليل مقارنة بين شعر الزهد والمجون أن الصمت يؤدي دورًا مركبًا متعدد الأبعاد. ففي البعد الدلالي، يعبّر شعر الزهد عن الحكمة والتأمل، بينما يركّز شعر المجون على المتعة والتورية، ما يتيح للخيال مساحة لتوسيع الدلالة. من الناحية الجمالية، يتميز شعر الزهد بالتوازن والسكينة، في حين يركز شعر المجون على الإيقاع والمفارقة، ليخلق إيقاعًا داخليًا وجاذبية للنص. أما البعد الاجتماعي والأخلاقي؛ فيبرز في شعر الزهد التواضع والنقد الأخلاقي، بينما يستخدم شعر المجون التجربة الحسية والرمزية، مع ضبط حدود التصريح لتفادي الانكشاف. ومن هنا يتضح أن الصمت ليس مجرد غياب للكلام، بل أداة فنية متقنة تجمع بين الدلالة والجمال والوعي الاجتماعي في النصوص العباسية.

سادسًا: خلاصة الفصل الرابع:

في شعر الزهد، يعمل الصمت على تعزيز التأمل وترسيخ القيم الأخلاقية، بينما في شعر المجون، يضيف الصمت للنص جاذبية وإيحاءً، ويتيح مساحات للتورية والتلميح. يتجلّى أثر الصمت على مستويات متعددة، تشمل الدلالية والجمالية والاجتماعية والتداولية، ما يؤكد أن الصمت في الشعر العباسي ليس مجرد عنصر ثانوي، بل يشكل بنية نصية أساسية تستحق الدراسة المستقلة.

الخاتمة

الصمت كآلية دلالية وجمالية في الشعر العباسي.

لقد كشف هذا البحث عن أن الصمت في الشعر العباسي ليس مجرد غياب للكلام، بل بنية نصية متعددة

الأبعاد، تجمع بين الدلالة، والجمال، والسياق الاجتماعي والسياسي، وتعمل كآلية تداولية نشطة بين الشاعر والمتلقي.

أولًا: نتائج البحث:

1. الصمت في التراث العربي: يتضح من المعاجم والبلاغة أن الصمت كان مفهومًا دالًّا، مرتبطًا بالحكمة والرزانة، كما ورد عند ابن منظور (لسان العرب) والجاحظ (البيان والتبيين).
2. الصمت يمتلك وظيفة دلالية قائمة بذاتها، يمكن أن يُنتج المعنى من خلال الإضمار، والحذف، والتلميح، وهو ما يهيئ الأرضية لدراسة الصمت في الشعر العباسي.
3. الصمت كأداة تداولية في الشعر العباسي: استخدم الشعراء مثل أبي تمام والمتنبي والبحتري الصمت لخلق مساحة تفاعلية مع المتلقي، حيث يقوم القارئ باستكمال المعنى وفق السياق.
4. وقد ظهرت وظائف الصمت في الإضمار، والتلميح، والحذف الاستراتيجي، والمسكوت عنه، بحيث يصبح النص أكثر ثراءً وعمقًا دلاليًا.
5. الصمت والسلطة السياسية: الصمت كان أداة حماية من البطش السياسي، كما يظهر في هجاء المتنبي وأبي تمام ضمنيًّا للخلفاء والوزراء، أو في المديح المقنن.
6. وفق التداولية الحديثة (محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 87)، يصبح الصمت عملية اجتماعية، حيث يتفاعل الشاعر مع السلطة والمتلقي في شبكة من الإشارات الرمزية.
7. الصمت في شعر الزهد والمجون: في شعر الزهد، الصمت يعزز الحكمة، والخشوع، والتأمل، كما في أبي تمام والبحتري، وفي شعر المجون، يعمل الصمت على توليد التورية والإيحاءات الرمزية، كما عند أبي نواس، ويخلق جاذبية دلالية وجمالية متعددة الطبقات، ويظهر الصمت هنا كعنصر إيقاعي وجمالي لا يقل أهمية عن الكلمات المكتوبة، حيث يخلق وقفات بلاغية ويشد انتباه المتلقي.

ثانيًا: الأهمية النظرية والتطبيقية للبحث:

1. الأهمية النظرية: يضيف البحث إلى الدراسات النقدية الحديثة إطارًا تحليليًّا للصمت بوصفه بنية نصية قائمة بذاتها، متجاوزًا اعتبار الصمت مجرد غياب للكلام أو جزء من الإيجاز أو الكناية، ويعزز الربط بين التراث البلاغي العربي (ابن رشيق، الجرجاني، الجاحظ) ومناهج التداولية والدلالة الحديثة، ما يوفر نموذجًا لدراسة النصوص العربية القديمة بوعي منهجي حديث.
2. الأهمية التطبيقية: يمكن استخدام هذا البحث كمرجع لتحليل الشعر العربي الكلاسيكي، ودراسة

الخطاب السياسي والاجتماعي فيه من خلال المسكوّت عنه. كما يوفر أدوات لفهم النصوص التي تحتوي على إيحاءات ضمنية أو تلميحات سياسية وأخلاقية، ويسهّل تحليل النصوص العربية الحديثة التي توظف صمتًا أو حذفًا استراتيجيًا.

ثالثًا: توصيات وأفق البحث المستقبلي:

1. تعميق دراسة الصمت في الشعر العربي ما بعد العباسيين، لرصد تطوره عبر العصور المختلفة.
2. تطبيق مناهج التحليل التداولي والسيميائي على النصوص النثرية، مثل المقالات السياسية والأدبية، لفهم وظيفة المسكوّت عنه خارج الشعر.
3. دراسة العلاقة بين الصمت والخطاب الثقافي والفلسفي في الأدب العربي، خاصة في النصوص الصوفية والزهدية، لتوضيح أثر الصمت على البنية الدلالية والنفسية للنص.

رابعًا: الخلاصة النهائية:

يؤكد البحث أن الصمت في الشعر العباسي ليس غيابًا للكلمة، بل أداة تواصلية ودلالية وجمالية، تتحكم فيها السياقات السياسية والاجتماعية والأخلاقية.

من خلال الفصول الأربعة، برز أن الصمت يظهر في: الإضمار والتلميح والحذف الاستراتيجي في الشعر السياسي، والإيحاء والرمزية والتورية في شعر الزهد والمجون كعنصر إيقاعي وجمالي يخلق وقفات بلاغية ويشد انتباه المتلقي.

وبذلك، يصبح الصمت بنية أساسية في النص الشعري العباسي، ويمثل نموذجًا غنيًّا لدراسة العلاقة بين الكلام والغياب في التراث الأدبي العربي.

المراجع والمصادر

أوّلًا: المصادر التراثية العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2002. مادة: صمت.
2. الجاحظ، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1993. المجلد 1، ص 79-82.
3. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الفكر العربي، دمشق، 1984. ص 146.
4. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار الفكر، بيروت، 1990. ص 235.

5. ابن رشيق، العمدة في النحو والبلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995. المجلد 1، ص 247، 312.
6. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999. ج 16، ص 45.
7. ديوان أبي تمام، تحقيق وتقديم: مصطفى الطباخ، دار صادر، بيروت، 2005. ص 102، 250.
8. ديوان المتنبي، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1990. ص 210، 215.9. ديوان البحتري، تحقيق: مصطفى الطباخ، دار صادر، بيروت، 2004. ص 78، 112، 129.
9. ديوان أبي نواس، تحقيق: عادل صالح، دار صادر، بيروت، 2003. ص 143، 146.
10. ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت، 2006.ص 76.

ثانيًا: الدراسات النقدية الحديثة:

1. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: مقاربة تداولية، دار الشروق، القاهرة، 2018. ص 87-89.
2. كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق، 2012. ص 54.
3. فضل، أحمد، علم الدلالة: مدخل إلى النظرية الدلالية الحديثة، دار المعارف، القاهرة، 2015. ص 211.